وقفات وعِبَر

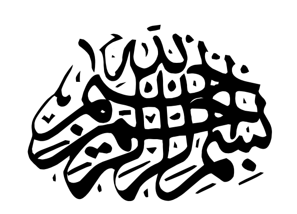
مع

أحداث سوريا

كلمة ألقاها فضيلة الشيخ

عبدالله بن مرعي بن بريك العدني

-حفظه الله تعالى-



- السّؤال :وهذا سائِل يسأل ،يقول :

هل من وقفة وتعليق على الأحداث الأخيرة في « سوريا » ؟

- والجواب :أن نقول أيّها الأحبَّة :

لا شكّ أنَّ الفرح لزوال دولة النُّصَيْريَّة والرافضة في بلاد الشَّام يُعتبَرُ من الفرح للّه سبحانه وتعالى الذي ينبغي أن يفرح به أهل الإسلام وخصوصاً حين نتذكَّر ما مرَّ به إخواننا أهل السُنَّة على وجه الخصوص ،بل والمسلمون جميعاً ممَّن كان تحت حكم هذا الطَّاغيَّة ،وما حصل لهم من القتل والتَّشْريد ،وكم من الجرحى ! وكم من الأرامِل ! وكم من الشُّهداء والقتلى ! وغير ذلك ممّا لا يخفى على الجميع ،وقد حصل واللّه المستعان أمرٌ عظيم وبلاءٌ كبير ،حتّى حصل ما حصل من هذا القتل والتَّشْريد والتَّجريح لملايين من أهل سوريا ،فلا شكّ أنَّ زوال مثل هذا الطّاغيَّة يُعتبر ممّا يُفرَح به .

وأذكُرُ أنَّ بعض مشايخنا يُنقل عنه أبياتاً قالها حين حصل زوال بعض الطّغاة بقوله –رحمه اللّه تعالى- :

الطّاغوت وانقطعَت عُراه ويبقى اللّه لا يبقى سواه

تمثَّل به الشّيخ العلاّمة حمّاد الأنصاري –رحمه اللّه تعالى رحمة واسعة- شيخنا وشيخ مشايخنا .

فكذلك ينبغي أن يكون ،ولا شكّ أنَّ زوال مثل هذا الشرّ يُعتبر فيه نصر للإسلام والمسلمين ؛فزوال الشرّ والشرّ والشرَّيْن ،والباطل والتّقليل منه يُعتبر نصراً ،ويُعتبر –كذلك- سبباً لفرح أهل الإيمان ،انظروا إلى ما أخبرنا اللّه –عز وجلّ- به في أوّل « سورة الرّوم » ؛وتعرفون « سورة الرّوم » ،نزلت والمسلمون تحت وطأة المشركين في مكّة ،فنزل قول اللّه –عز وجلّ- ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ ﴾ [الروم: 1-6] ،ولا يخفى علينا ما ذكره أهل التّفسير والسّير في القصّة التي أصلُها صحيح ؛في قصّة أبي بكر مع المشركين .

والشّاهد ؛أنَّ اللّه –عزّ وجلّ- حقّق وعدهُ سبحانه وتعالى لنصر أهل الكتاب على ما عندهم من تحريف على المشركين من المجوس ،وكان بهذا لا شكّ فرَح لأهل الإيمان لوجود الدِّين والإيمان باللّه –عز وجلّ- عند أهل الكتاب ،بخلاف ذلك عند المجوس ،وهذا ينبغي أن يكون في الحُسْبان .

ولنا ههنا وقفات وأمور وعِبَر نعتَبر بها في مثل هذه الأحداث .

فهذه الأحداث مع ما لنا فيها من فرَح إلاّ أنَّ المرء تكون في قلبه شيء من الخوف والوَجَل لتسارُع هذه الأحداث ،ولحصول –كذلك- مثل هذا التَّمكين وأكثرُهُ بغير قتال ،فينبغي أن يكون

الفرح مَشُوباً بشيءٍ من الحذَر ،وبشيءٍ –كذلك- من الخوفِ الذي يحمي من العواقِبْ السيِّئَة .

ونرجو أنَّ اللّه سبحانه وتعالى أن يجعل هذا النَّصْر لإخوانِنا في سوريا وزوال الرَّافِضَة من بلاد سوريا ،إن شاء اللّه أنَّه بشارة خير وعلامة نصر ،تمكين لأهل السُنَّة وأهل الإسلام الصَّحيح .

وكما كان يقول هذا إن شاء اللّه يكون من باب البشارة بالخير ،كانوا يقولون قديماً لمن فاتتْهُ الفُرْصَة وحصلت له الخسارة ،وفاتهُ كلّ شيء ،يقولون :« فلان لا بلح الشَّام ولا عنب اليمن » ،ويقولون لمن يُرجى له الخيْر في أمرٍ ما :« إذا استوى بلحُ الشَّام نضجَ عنبُ اليمن » ،وكذلك يقولون في هذا المعنى :« ما أمسى بالشَّام أصبح باليمن » وهو من المقولات والأمثلة المشهورة التي تُضْرَبْ ،فنرجو أنَّ اللّه –عز وجلّ- يُعَجِّلْ بزوال الرَّافِضَة في العراق وفي اليمن في سائِر بلاد الإسلام ،ويكون هذا إن شاء اللّه بشارة خير ودلالة –بإذن اللّه سبحانه وتعالى- وعلامة –كذلك- حصول الخير ،ونسأل اللّه سبحانه وتعالى التَّوفيق .

وتنبيهُ آخر ووقفة أخرى أيّها الأحبَّة في هذا الباب :أن نحذر مع دعائِنا لإخوانِنا بالسَّداد والتَّوفيق على الكتاب والسُنَّة أن نتأنَّى ونتريَّثْ وأن نلزم غرز العلماء ،وأن –كذلك- ننظر لهذه الأحداث بالمعايير الشَّرعيَّة ،والموازين –كذلك- والضَّوابط المَرعيَّة التي دلَّت عليها أدلَّة الكتاب والسُنَّة وسار بسيْرها علماء الأمَّة ،فينبغي أن يكون عندنا من التأنِّي وعدم الاستعجال في الفرح بكلِّ أحد ،فنعرف نضع الفرح في موضِعِه ،ويكون الحذر في موضِعِه ،فلا ينبغي

أن يكون هنالك نوع من الاستعجال فيحصلُ الثَّناء على من لا يحصلُ الثَّناء عليه ،فتعرفون مع اختلاط الأمور ،ربَّما دخل من له سابقَة –يعني- مُريبَة أو سيّئَة في مثل هذه الانتصارات ،فينبغي أن يكون أهل السُنَّة وأهل الإسلام الصَّحيح على حذر.

ف« جبهة النّصرة » وما جرى من تاريخها وأمورها السَّابقَة لا تخفى على العارِفِين ،فقد دخل بعض هؤلاء فيما يُسَمَّى « جبهة التَّحرير » حتّى لا تختَلِط الأوراق ،فلذلك ينبغي أن يكون أهل الحقّ على حذر ،وأن تُسْرَف هذه الانتصارات وتوجَّه توجّه غير صحيح ،ويكون بذلك الشرّ والعاقبة السيِّئة.

فلذلك ندعو اللّه سبحانه وتعالى لإخوانِنا بالتَّوفيق والسَّداد على الكتاب والسُنَّة ،وأن لا تُسْرَفْ هذه الانتصارات لا من قِبَل أهل الإلحاد ولا من قِبَل الخوارج ومن سلك مسلكهم ،ونسأل اللّه سبحانه وتعالى أن يدفع عنَّا وعن المسلمين السُّوء والشرّ والمكروه ،وأن يحفظنا من الفِتَن ما ظهر منها وما بطن.

كذلك ،وقفة أخرى :ينبغي أن نعلم أيّها الأحبَّة أنَّ تسارُع هذه الأحداث يُبَشِّرُنا بإذن اللّه تعالى بأنَّ النَّصر لهذا الدِّين مِصْداقاً لقول اللّه –عز وجلّ- وخصوصاً بعد حصول الذي حصل من الظّلم العظيم والبَغيْ الكبير في مواضِع كثيرَة ،فإنَّ هذا يُذَكِّرُنا أنَّ اللَّيْلَ مهما طال فلا بدّ من الفجر ،وأنَّ الظُّلم مهما عظُم فلا بدّ من النَّصْر ،والعاقبَة للتَّقْوى ،واللّه –عز وجلّ- كما قال سبحانه ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ ﴾ [محمد: 7] ،وكما قال سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨ ﴾ [النحل: 128] .

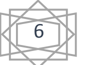
فممّا نُسَلِّي به أنفسنا ما أخبرنا اللّه –عز وجلّ- به في قوله –جلّ وعلا- ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [التوبة: 32] ،**وقوله سبحانه** ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة: 33] .

وقد بشَّر النبيّ ﷺ في النَّصْر لهذا الدِّين ،وذلك في أحاديث كثيرة ،كحديث ثوبان وغيره وجاء بمعناه عن عددٍ من الصَّحابة ؛رواه الإمام مسلم في قوله –عليه الصَّلاة والسَّلام- :« إنَّ اللّه زوى لي الأرض فرأيْتُ مشارقَها ومغاربَها وإنَّ مُلْكَ أمَّتي سيبلُغُ ما زُوِيَ لي منها » [1] **.**

وهكذا ما جاء في حديث تميم الدّاري –رضي اللّه عنه وأرضاه- بقوله –عليه الصَّلاة والسَّلام- :« ليبلُغَنَّ هذا الأمر ما بلغ اللَّيْل والنَّهار ولا يترك اللّه بيت مدَر ولا وَبَر إلاّ أدخلهُ اللّه هذا الدِّين بعزٍّ عزيز أو بذِلٍّ ذليل عزاً يُعِزُّ به الإسلام وأهلَه وذِلاً يُذِلّ اللّه به الكفر وأهله » [2] **،وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة .**

فهذه ونظائِرُها من الأحاديث التي تُبَشِّر بأنَّ النَّصْر بإذن اللّه سبحانه وتعالى لأهل هذا الدِّين يجعلُنا ويدفعُنا للتهيُّؤ من حمل المسؤوليَّة ،فكما نفرح فكذلك نخاف ،فلا بدّ أن يكون فرحُنا مَشُوباً بخوف ،فهي فيها من التَّكليف أعظم ما فيها من التَّشْريف .

1- رواه مسلم في [صحيحه (2889)] .
2- رواه أحمد في [مسنده (16957)] .



فنسأل أنفُسَنا: إذا مكّنَنا اللّه سبحانه وتعالى ، فكيف سنستطيع أن نتحمَّل هذه المسؤوليات ؟ وكيف سنستطيع أن نؤدِّي الأمانات ؟ كيف لا نستطيع أن نُغَطِّي الحقوق ؟

فلا شكّ أنَّ هذا يحتاج منّا إلى تهيئَة كبيرة ، وإلى إعداد عظيم ، وإلى بناء قاعدة كبيرة فيها من الاعتِناء ببناء الرِّجال والأجيال وإصلاح المجتمع ، الذي يكون به بإذن اللّه سبحانه وتعالى التَّمكين و-كذلك- النَّصْر الحقيقي .

فالنَّصر الحقيقي ليس هو الذي يدوم ساعات بالتَّكبير وبالتَّصْفِيق ثمَّ نهايته أن يكون فشل ، ويكون نهايته أن يرجع النّاس من حيث كانوا ، لأنَّه إذا لم تكُن هناك أهليَة ولا هناك إمكانيات صحيحة عِلميَّة ولا عمليَّة ، ولا –كذلك- حسِّيَّة أو معنويَّة ، فإنَّه ربَّما يكون الفشَل ، فعند ذلك يحصُل والعياذ باللّه ما لم يكُن في الحُسْبان .

فلذلك ، ينبغي أن نعتني اعتناءً عظيماً بما يكون فيه إن شاء اللّه أداء الأمانة والمسؤولية التي يكون بها تحقيق النَّصْر الذي يُحبُّهُ اللّه سبحانه ، والذي نرجوه بإذن اللّه سبحانه وتعالى لأمَتِنا ومجتمعنا .

ومن هذه الأمور والوقفات والعِظات والعِبَر: أن نعلم أنَّ من أعظم أسباب حصول النَّصْر واستمراره وثباتِه اجتماع أهل الحقّ على الحقّ والهدى -أهل الإسلام جميعاً وأهل السُنَّة على وجهٍ أخصّ- فإنَّ اجتماعهم على الحقّ والهُدى لا شكّ أنَّه من أعظم الأسباب الذي يُعين بإن اللّه سبحانه وتعالى على حصول النَّصْر ، بل و-كذلك- على ثبوتِه وبقائِه ، وإن شاء اللّه استمراره .

ولنعلَم -كذلك- وهذا ممّا نتَّعِظ به وممّا نقِفُ عنده وقفة، وممّا يكون به العِظة والعِبرَة: أنَّ مهما حَرِصَ الإنسان على الخيْر فإنَّهُ قد يحصُل غيرُه، ومهما حَرِصَ على دفع الشرّ فقد يُبتلى -كذلك- بضدِّه وغيره، ولكن للّه سبحانه وتعالى الحِكمة في ذلك، فبعض الشّرور والآفات والشِدَّة قد تكون سبباً في إظهار الحقّ وإخراجه؛ فالشِدَّة تُخرجُ الرجال وتبني الأجيال، وتجعل العاقبَة بإذن اللّه سبحانه وتعالى لأهل الحقّ.

وانظروا إلى تاريخ أهل الإسلام وأهل الحقّ، والأنبياء والرُّسُل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- ما مرَّ بهم من شِدَّة وبلاء، كان عاقبتُه النَّصْر.

وكم يُخرج اللّه -عز وجلّ- من الظُّلم النَّصر! وقد قال النبي ﷺ: «إنَّما النَّصْرُ مع الصَّبْر»[3].

وانظروا -كذلك- في تاريخ هذه الأمَّة في أوَّلِها، فإنَّما حصلَ الكثيرُ من الفتح في بعض الشَّدائِد؛ فإسلام حمزة كان بعد ظُلْم وبَغي أبي جهل للنبيّ ﷺ والمستضعفين من المسلمين، وما حصل من الفتح كان بعد «صُلْح الحُدَيْبِيَّة»، وهكذا -كذلك- أمور كثيرة يجعل عندنا اليقين والتَّسْلِيَّة بأنَّ الفرَج بإذن اللّه سبحانه وتعالى سيأتي، وأنَّ الخير إن شاء اللّه سيكون.

ووقفةٌ أخرى -كذلك-: أنَّنا -كما تقدَّم- علينا أن نحرصْ على تهيئَة الأسباب التي يحصُلُ بها بإذن اللّه النَّصْر والتَّمكين

3- أخرجه التّرمذي في [السّنن (2516)] عن عبداللّه بن عبّاس -رضي اللّه عنه-.



،ويحصُل فيها بإذن اللّه سبحانه وتعالى الخير الذي نرجوه لأمَّتِنا ولدعوتِنا ،والموفّقْ من وفّقَهُ اللّه سبحانه وتعالى .

فإنَ أساس البناء والإصلاح في المجتمع إنَّما يكون من الأساس إلى الرَّأس ،وليس من الرَّأس إلى الأساس كما عليه تفكيرُ وطريقة الكثير ممَّن لم يُوفَّقْ لدعوة أهل الحقّ « أهل السُنَّة والجماعة » ،بل الإصلاح يكون من الأساس إلى الرَّأس ؛فإصلاح المجتمع وبناء الرِّجال وتهيئَتَة –كذلك- المجتمع بوجود الكفاءات والقيادات كلّ هذا من أعظم الأمور التي ينبغي أن يُعتنى بها ؛فيُعتنى ببناء المدارسْ والجامعات و-كذلك- كلّ ما له أثر في بناء المجتمع كوسائِل الإعلام المتنوِّعة ،و-كذلك- يعني اجتهاد الدّعاة إلى اللّه في إصلاح الأسرة ،إصلاح الفرد ،إصلاح المجتمع ؛إصلاح الرّاعي وإصلاح الرعيَّة له أثرُه العظيم في الحاضر وفي المستقبل ،وهكذا –كذلك- الجوانب الأخرى بإيجاد الكفاءات في سائِر ما يحتاجه المجتمع ،سواء أكانت علميَّة أو عمليَّة ،أو غيرها من الجوانِبْ الأخرى من الأسباب التي تُعِينُ بإذن اللّه سبحانه وتعالى على النَّصْر وعلى الثَّبات لهذا النَّصْر وحصول الخير .

ومن هذه الأمور ،وبها –كذلك- نختِم إن شاء اللّه تعالى هذا السُّؤال ،وأعتذر عن الإطالة : ما ينبغي أن يراعى فيه من ترتيب الأولويّات وتقديم الأهمّ من المهمّ ،فإنَّ هذا من أعظم الأمور .

فحِفظ الدِّين والاعتناء بأمره هو أعظم لا شكّ من العِرْض والنَّفس والمال وما يتبع ،وإن كان الجميع له منزلته وضرورته في الإسلام

،ولكن ترتيب هذه الأولويّات لا شكّ أنّ لها أثرُها في حصُولِ النَّصْر على أكمَل وجوهِه ،وثبوتِه على أحسن أحوالِه .

ولهذا شرعَ اللّه سبحانه وتعالى في الإسلام الهجرة لأجل الفِرار بالدِّين والسَّلامة بالنَّفْس والعِرْض والمال ،وهكذا –كذلك- ترتيب الكثير من الأولويات ومنها ما تقدَّم الاعتناء بالبناء الحِسِّي والمعنوي للمجتمع ،وهو من أعظم الأمور .

ونسأل اللّه سبحانه وتعالى أن يُتِمّ لنا أمورنا على ما فيه الخير .

وهنا تنبيه أخير ،وهو :لفتة و-كذلك- وقفة يسيرة :فيما يحصُل من بعض التَّناقضات التي ربّما تصدُر وللأسف من بعض النّاس ربّما بسبب العجلَة أو بسبب –كذلك- الحماسة أو غير ذلك .

فانظروا في مثل هذه الأيَّام كيف نجِد من يُبارك هذه الانتصارات ومع ذلك تجِد ربَّما في بعض مواقفِه من التَّناقضات التي تُنافي هذه المبارَكة .

فمن يبارك العسكر والنَّصْر في الشَّام بإزالة الرّافضة والنُّصَيْريَّة ،ولا شكّ أنّ هذا الأمر طيب ،لكن في المقابل يُحذِّر من العسكر في اليمن وإزالة حُكم الرّافضة والحَوَثة فيه ،وهو على أحسن حال ممّا عليه أهل الشَّام ؛وهو تحت مظلّة ولاّة الأمر وقيادات كثير منها في القيادات السُنيَّة السّلفيَّة ،فلا شكّ أنّ مثل هذا التَّناقُضْ ينبغي أن يكون سبباً في مراجعة هؤلاء حساباتِهم وإعادة النَّظر في –كذلك- مواقفِهم ،فإنّ الواجب أن تكون كلمة أهل الحق وأهل السُنَّة واحدة في قتال الرّافضة ودَفْع شَرِّهِم وبَغيِهم وعُدوانِهم من

اليمن ومن الشَّام والعراق ،وسائِر بلاد الإسلام والمسلمين فلِما لهم من الأثَر السيِّئ والضَّرر الكبير .

ونسأل اللّه سبحانه وتعالى أن يحفظنا والمسلمين من الفِتَن ما ظهر منها وما بطن .

وهكذا وقفَةٌ أخرى فيمن يُقابل هذه الأحداث بالبرودة والتّثبيط ،و-كذلك- يعني ربّما يكون لسبب أو لآخر أو لوجود ضغط من هنا أو هناك ،ولكن مع ذلك ينبغي أن يراعى مشاعر أهل الحقّ في العالم وأهل السُنَّة على وجه الخصوص ،ولا شكّ أنَّ في مثل هذا المقام من كان يعني غير قادر على إظهار الموقِف الصَّحيح فلا أقلّ من الصَّمت ؛فالصَّمت لا شكّ أنَّه ربَّما يكون أسلَم من مثل إظهار هذه البُرودة والتَّثبيط التي ربَّما تكون سبب في إثارة التَّساؤلات وإيجاد شيء من الإشكالات .

نسأل اللّه سبحانه وتعالى أن يجمع كلمتنا والمسلمين على الحقّ ،وأن ينصُرنا والمسلمين على ما فيه الخير لهذه الأمَّة ،وأن يجعلنا مفاتيح خير مغاليق شرّ ،وبهذا القدر نكتفي .

وصلَّى اللّه وسلّم على نبيِّنا محمَّد ،وعلى آله وصحبه وسلَّم .

جزاكم اللّه خير .

08 جمادى الآخرة 1446 هـ